حداثة الكتابة الروائية الجزائرية المعاصرة
– عين حمورابي لعبد اللطيف ولد عبد الله أنموذجا–

The modernity of contemporary Algerian novel writing
- The Eye of Hammurabi by Abd al Latif Ould Abdallah is a model-

حلوش وليد[1]، مسيلي طاهر[2]

[1]جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية (الجزائر)، walid.hallouche@univ-bejaia.dz

[2]جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية (الجزائر)، tahar.messili@univ-bejaia.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/20 تاريخ القبول: 2025/05/20تاريخ النشر: 2025/12/15

ملخص:

تروم هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن مظاهر الحداثةفي الرواية الجزائرية المعاصرة من خلال أنموذج رواية "عين حمو رابي" التي استطاع فيها مؤلفها "عبد اللطيف ولد عبد الله" الخروج عن كل ما هو تقليدي شكلا ومضمونا,وقدتوصلت هذه الدراسة إلى أن هذا المبدع في روايته هذه كان مميزا في طريقة عرضه وتصويرهلأحداثها، مستخدما في ذلكتقنيات حديثة استطاع من خلالها إيصال فكرته لقارئه بأسلوب فني لم يكن معروفا من قبل.

كلمات مفتاحية:الحداثة؛ الرواية الجزائرية؛ التقنيات السردية؛ عين حمورابي؛ عبد اللطيف ولد عبد الله

Abstract:

This research paper aims to reveal aspects of modernity in the contemporary Algerian novel through the example of the novel "Eye Hammurabi," in which its author, "Abdel Latif Ould Abdallah," was able to depart from everything that is traditional in form and content

This study concluded that this creator of his novel was distinguished in the way he presented and depicted its events, using modern techniques through which he was able to convey his idea to his reader in an artistic style that was not known before.

Keywords: Modernity; the Algerian novel; narrative techniques; Eye of Hammurabi;AbdLatifOuldAbdallah

المؤلف المرسل: وليد حلوش، **الإيميل**: walid.hallouche@univ-bejaia.dz

1. مقدمة:

تعتبر الرواية من أهم الفنون النثرية التي استطاعت في فترة قصيرة أن تصبحمرآة عاكسة للمجتمع ولسان حاله ومربط آماله وآلامه، كما تمكن هذا الفن توسيع دائرة مخاطبيه إلى حد منافسة الشعر،إذ يعد ممارسة إبداعية يسعى لتحقيق المستجد وإيجاد عوالم أفضل من خلال رؤى مغايرة للذات والتاريخ والمجتمع. وقد قطعت الرواية الجزائرية عدة مراحل إلى أن وصلت إلى اكتمالها فنيا. وشهدت خلال هذه المسيرة عديد التحولات إلى غاية بلوغ مرحلة تأكيد الوجود عن طريق آليات تجاوزت بها التقليدي السائد وخلخلت بها نظام النصوص الكلاسيكية. كما سعت للبحث عن كتابة روائية متغيرة ومتحولة في مجتمع كل ما فيه يتغير،فاتسمت بكثير من الغموض والإبهام وذلك بسبب التطورات الكثيرة، مما أصاب قارئها بكثير من الحيرة والانزلاق في مناطق مثل الالتباس والشذرية وغيرها من المصطلحات التي ألفناها في منطقة التجريب، خاصة مع وجود كتاب غرفوا من نهر البراعة السردية فطرقوا أبوابا وفتحوا مجالات لم تتم ملامستها في المتن الروائي التقليدي. كل هذا حدث في سبيل مسايرة واقع المجتمع ومستجداته في موقف حداثي يستدعي التجديد والرغبة في التخطي والاستمرار، إضافة إلى وضوح الرؤية ونضج الفكر واستحداث أدوات إجرائية وأساليب فنية وإبداعية مختلفة. وقد تجلت مظاهر الحداثة فيها في عدة مستويات أهمها: الرؤية، أساليب التصوير،التخييل، غرابة العنوان، الزمن ...إلخ، وهذا ما يظهر في رواية "عين حمورابي" لعبد اللطيف ولد عبد الله.

تكمن إشكالية هذه الدراسة في الإجابة عن التساؤلات الآتية: هل استطاع هذا الكاتب الاستفادة من التقنيات الروائية الحديثة، في مدونته هذه؟ وكيف كان توظيفه لها؟ وهل استطاع من خلالهاالوصول إلى مبتغاه المتمثل في عرض واقع مجتمعه؟

وكان الهدف من وراء هذا التحليل منصبا حول الكشف عن التقنيات السردية الحديثة التي وظفها ولد "عبد الله" في روايته هذه بغية تصوير وعرضما يريد التعبير عنه.

2. الرؤية السردية من المركزية إلى التعدد:

يعتبر النص الروائي مجالا مفتوحامتعددالمصادر المختلفة باختلاف مدلولات الواقع من جهة ورؤى الراوي من جهة أخرى.وإن كانت الرواية الكلاسيكية قد اعتمدت على مفهوم الرؤية الواحدة، حيث يكون الراوي عليما بكل شيء وأحيانا أكثر مما تعلمه الشخصية نفسها، فإن الرواية المعاصرة قد اعتمدت تقنية تعدد المنظورات السردية حيث منحت للأديب حرية المزج بين الرؤى الثلاث في نصه مستغلا في ذلك مختلف الضمائر السردية،باعتبار إن الرؤية هي "الطريقة التي اعتبر بها الراوي الأحداث عند تقديمها"(عبدالله، 1990، صفحة 62).

وبالعودة إلى رواية "عين حمورابي"نجد هناك تماه بين الراوي والشخصيات، بحيث لم يقتصر نقل الأحداث على الراوي فحسب وإنما تم إسناد فعل السرد لشخصيات عدة تنقل كل واحدة منها وجهة نظرها وتتحدث عن نفسها وأحاسيسها، وبذلك تعددت وجهات النظر داخل الرواية معلنة تحررها من الراوي العليم، وهذا ما نجده في قول نجاة عزرا في حديثها عن ألمها ومعاناتها: "كنت أصرخ لكن صراخي لم يتعد عتبة الباب خوفا من الأسوإ. كل يوم أزداد ظلما ويأسا حتى اعتدت التفكير في الموت. وقلت في نفسي إذا كان الموت أصعب قرار يتخذه الإنسان فلماذا لا يجرب أشياء أخرى أقل خطورة منه؟"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 180),فنجاة هناتبوح عما تحس به من أوجاع، موظفة ضمير المتكلم،والرؤية هنا هي من الخلف، وردت بلسان الشخصية ذاتها، وهذا يدل على وجود نويات كثيرة متعددة بتعدد المواقف والرؤى. كما يقول "وحيد حمراس" متحدثا عن هلين بلانك: "أنت طموحة ومنضبطة، لكنك لم تعيشي حياتك كما تخيلتها لنفسك. لك ثلاثة أبناء وزوج لا يبالي بك"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 57). يظهر هنا ما يسمى بالراوي العليم الذي ناب عن الشخصية المعنية بوصف حالها.

3.حداثة التصوير:

يعتمد التصوير السردي ضمن الرواية المعاصرة على عدة أشكال وأساليب كما يبنى على قراءات حديثة ومختلفة باختلاف الرؤى و يتبنى منظورات حداثية متغيرة، فالتصوير الروائي المعاصر لم يعد ذلك

الوصف المباشر للشخصيات والمسترسل للأحداث، بل أصبح عملية تتطلب جملة من التقنيات التي تحقق الجمال الفني والإبداع الأدبي، لذلك سلك الروائيون المعاصرون نهجا خاصا في عرض أحداث نصوصهم حيث أصبح التصوير مكمن اهتمامهم وذلك " لما يحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير, فيتجسد في الطريقة التي يفرض بها علينا نوعا من الانتباه للمعنى الذي يعرضه, وفي الطرية التي يجعلنا بها نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به، فهو يلفت انتباهنا إلى المعنى الذي يعرضه والطريقة التي يقدم فيها ذلك المعنى"(عصفور، 1984، صفحة 398)، فالتصوير له طرائقه و أصوله الفنية التي يسير عليها، فليس كل من وصف حدثا أو استحضر شخصية من الشخصيات أو عبر تعبيرا أدبيا عن معنى من المعاني يكون صاحب تصوير فني، لذلك كان لزاما على الروائي المعاصر البحث عن نظام تصويري متكامل في نقل الصور بعدسات السارد ممزجا في ذلك بين الأسلوبين الرمزي أحيانا والواقعي أحياناأخرى.

1.3أسلوب التصوير الواقعي:

يعملالكثير من الروائيينعلى تمثيل الأحداث تمثيلا واقعيا بعيدا عن الرمز والتأويل والنزعات الخيالية دون تصنع أو مبالغة مما يتيح للقارئ فهم الحقائق دون تعقيد.والتصوير الواقعي أسلوب يعكس "الوجود الإنساني بأطره المكانية والثقافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية كافة"(صيداوي، 2008، صفحة 73),فهو يستهدف إطارا محددا للقص وبصياغة دقيقة ومباشرة وأكثر موضوعية وبلوحات مفصلة من الواقع، وهذاما اعتمده ولد عبد الله في كثير من المشاهدالسردية في نصروايته،إذ لجأ لنقل ملامح العيش البسيطة وتصوير واقع مجتمعه كما هو عليه،وهذا ما يتجلى في المقطع التالي: " سيدي المجدوب. من بعيد، بدا أنها لم تتغير كثيرا، فأسوارها البنية اللون ما تزال متماسكة. وبيوتها المتراصة بأسطحها المرتفعة منغلقة على نفسها بنوافذ محتشمة تطل على دروب ملتوية وضيقة لا تسمح إلا بمرور الناس"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 36). نلاحظ هنا بأن الكاتب من خلال هذا المقطع يعرض معطيات واقعية ضمن صياغة تعبيرية بسيطة مفعمةبالشاعرية تمنح النص بعدا جماليا. وهذا يقودنا للقول بأن التصوير الواقعي أسلوب فني يسعى لتمثيل الواقع كما هو مع التركيز على التفاصيل الدقيقة للواقع الاجتماعي والنفسي للشخصيات، كما يهدف إلى خلق صورة دقيقة وصادقة عن العالم، مما يجعله أقرب إلى ذهن القارئ،

حيث يعمد إلى رسم الأحداث والشخوص بطريقة تعكس الحياة اليومية، مع تجنب الخيال المفرط لخلق صورة حية، مما يجعل القارئ يشعر وكأنه جزء من الأحداث ليتفاعل مع النصوص بشكل أعمق لفهم تعقيدات الحياة.

2.3 أسلوب التصوير الرمزي:

يسعى هذا الأسلوب إلى تكوين صورة فنية تدرك بالخيال لا بالحس وبالعاطفة لا بالعين. الرمز مجال شاسع لإبراز الخواطر العالية التي هي أسمى من أن تظهر بمظاهر محسوسة، كما أنه "يوظف في الأدب لإضاءة التجربة الفنية وإضفاء بعد جديد عليها ليخرج الأدب من الصور المبتذلة والحسية"(أصلاني، 2011، صفحة 2)، وهذا ما يُمَكِّن من خلقصورة جديدة تلائم أمزجة الناس وطبائعهم من غير أن تتقيد بظاهرة من الظواهر الواقعية المحدودة، لذلك يحتاج دارس الرمز إلى ملكة خيالية بعيدة المدى والرؤية, فقديتعدد استخدام الرمز في الرواية الجزائرية ويتفاوت بشكل ملحوظ ، وذلك استنادا للسياقات المتعددة التي تشكل الهوية وترتبط بشكل وثيق بتجارب الفرد، فهو يُستخدم لاستحضار ذكريات تتعلق بالعناصر الطبيعية أو بشخصيات رمزية للتعبير عن التوترات الاجتماعية والسياسية والصراعات الداخلية أو لنقل رسائل عميقة بطريقة غير مباشرة. يقول وحيد معبرا عن حظه التعيس وعن حجم الضياع والوهن الذي أصابه : "ولدت يوم ظهر أورانوس في السماء, وهذا يعني أن الكوكب اللعين يتحكم في مصيري الآن وأنا مجرد حتمية لهذه الأفلاك المتحركة في الفضاء، كنت أتحرك في خط مستقيم بسرعة ثابتة"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 288). استخدم الروائي هنا الرمز للتعبير عن الحالة النفسيةلـ"وحيد حمراس" وحياته التي تأرجحت بين التيه والشرود واللايقين،رابطا إياهابالكواكب وما يحدث فيها من مفاجآت وتغيرات مستمرة.

4.غرابة العنوان:

يعتبر عنصر الغرابة خاصية مميزة في الرواية المعاصرة، يهدف الكاتب من خلاله إلى تحدي القارئ وإثارة فضوله من خلال ما يتضمنه من دلالات ورمزيات قد تخالف توقعاته مما يخلق لديه نوعا من الإثارة

والتشويق، فاسحا بذلك المجال لإبداع فني مستحدث يتجاوز فيه المفاهيم البسيطة، خاصة إذا ما تعلقت هذه الغرابة بالعنوان الذي هو "نظام سيميائي ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية تعزي الباحث بتتبع دلالته ومحاولة فك شيفراته الرامزة في النص الأدبي"(قطوس، 2008، صفحة 34).

يلاحظ علىعنوانرواية"عين حمورابي" عودة مبدعها إلى تاريخ مملكةبابل التي كانت تستمدّ قوَّتها مِن القطاع الزراعي وهذا بفضل موقعها على نهري دجلة والفُرات. قام الروائي بإسقاط فترة حكم حمورابي على مضمون روايته، إذ اتخذ مِن ضريحي سيدي الحرَّاق وسيدي المجدوب والنهر القاطع بينهما مسرحًا لسير أحداثها. تظهر الفكرة غريبة وصائبة إلى حدٍّ بعيد،فمَنِ اطلّع على النصّ يكون قد اكتشف ذلك، وهذا الإسقاط أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال،كما أن هنالك تطابق بين ما ورد في نص هذه الرواية وشريعة حمورابيالتي حفرَت على مسلة ضخمة من الحجر الأسود على شكل أصبع،وهذا ما جسدهفعلا وحيد حمراس حين قام بالاقتصاص من إمام الدوار ومفتيه عبد الوهاب قرشي، وهذا مستوحى من قوانين حمورابي النفس بالنفس. ونجد أيضا قضية سرقة وتهريب الآثار مثلما حدث لشريعة حمورابي الأصلية التي نهبها الغزاة لاحقاً قبل أن يُعاد اكتشافها في نهاية عام 1901م، وهذا ما أسقطه الكاتب على اللوحة التي كتبها دوسوس لامار وأودعها متحف الجزائر بعد استعادتها «لكنه أعاد نسخ الكتابة على الألواح وأودع نسخة منها في متحف الجزائر، اختفت سنة1987م. ومرت سنوات عديدة حتى عثر عليها رجل أعمال من كولورادو، وهو ياباني الأصل يدعى كاتسوو، يهتم بجمع الآثار. اشتراها من أحد الجنرالات بربع مليون دولار"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 137).والغرض من هذا التصوير الغريب هو مقاربة الواقع الممسوخ الذي عالجته الرواية والكشف عن التشوهات التي مست المجتمع وما سيطر عليه من حيرة وقلق عن طريق ما هو غير مألوف من المخزون الثقافي والفكري.

5.توظيف المتخيل التاريخي (الزمانيوالمكاني):

ترتكز الرواية المعاصرة بدرجة كبيرة على عنصر التخييل الذي يشتغل عليه الروائي بدقة كبيرة للسيطرة على ذهن القارئ وتشويقه.وباعتبار التاريخ مادة خصبة توظف في عملية التخييل، فإن توظيف المادة التاريخية بشقيها الزمني والمكاني توظيفا فنيايجعل الأديب يعمل على إعادة صياغتها في قالب تخييلي

دون التقيد بالتسلسل التاريخي،إذ يقدم ويؤخر في سرده للأحداث التاريخية من أجل إضفاء مسحة جمالية على نصه.

1.5المتخيل التاريخي والزمن:

يعد الاشتغال على الأحداث التاريخية من أهم الركائز التي يبنى عليها المتخيل التاريخي في النص الروائي،"حيث يتقاطع التاريخ مع السرد في إعادة تصوير الزمن، فيعيد تَمثيلا لماضي في التاريخ بالتنويعات الخيالية للسرد، وتتشكل منطقة التّداخل في ما بينهما من العمليات المتقاطعة لإضفاء الخيال على التاريخ والتاريخ على القصص"(عبدالله، 2011، صفحة 8).وعليه يتمكن الروائي من خلق تلك النقطة التي يمتزج فيها الزمن التاريخي (الماضي)بالسرد الروائي، وهذا ما يُصعب عملية التفريق بينهما، فيوضع القارئ في حالة من الحيرة والتوتر. ما يتجلى هذافي مواضع عدة في الرواية التي هي مثار بحثنا، منها المقطع التالي: «لقد جاء أجدادنا الأوائل إلى إفريقيا مع آخر هجرة للموريسكيين سنة 1610م حيث أصدر الملك فيليبي الثالث أمرا بطرد بقية المسلمين من إسبانيا "(ولدعبدالله، 2020، صفحة 88). نلاحظ هنا توظيف التاريخي من خلال التطرق إلى زمن تهجيرالمسلمين من بلاد الأندلس. وبالرجوع إلى هذه الفترة الزمنية نرى أن لها وجودا تاريخيا فعليا،وهذا ما أكده المؤرخون: "في 22سبتمبر 1609م أصدر الملك فيليبي الثالث مرسوما ملكيا بطرد جميع المورسكيين، وجاء تبريره على الشكل التالي: لقد حاولت منذ سنين طويلة تنصير موريسكي هذه المملكة وإصداري لقرارات العفو المتتالية في شأنهم وساعدني في ذلك رجال الدين في تحويلهم إلى ديانتنا المقدسة لكنهم أصروا على التمسك بدينهم"(داود، 2020، صفحة 64).

نستنتج بأن الروائي يمزج بين الخطاب التاريخي والروائي ويصهرهما في بوتقة واحدة، بحيث يصعب رسم حدود تفصل بينهما، فعلى الرغم من حضور الأحداث التاريخية في ثنايا النص إلا أن الروائي يجتهد في صبها في إطار فني إن استرجاع المادة التاريخية المشكلة بواسطة السرد هنا قد انفصلت وتخلت عن وظيفتها التوثيقية والوصفية لتصبحذات وظيفة جمالية مفعمة بالرمزية، فالسارد هنا لا يحيل على حقائق الماضي بل يوظفها بوصفها ركائز مفسرة للأحداث التي يريد التعبير عنها.

2.5المتخيل التاريخي والمكان:

تعد الأماكن التاريخية من أبرز المرتكزات التي يستند إليها الروائي في صياغة متخيله التاريخي في النص. إن المكان التاريخي مادة خام للكتابة الأدبية والروائية " يُستحضر لارتباطه بعهد مضى أو لكونه علامة في سياق الزمن وهكذا يتخذ المكان شخصية زمانية"(سعيد، 1986، صفحة 26). فقد يعمد الأديب إلى الإحالة التاريخية لإيهام القارئ بحقيقة هذه الفترة التاريخية لشد انتباهه وإكساب نصه أكثر مصداقية وواقعية. كما أن توظيف التخييل التاريخي له رمزية مقصودة باعتباره " المادة التاريخية المشكلة بواسطة السرد، وقد انقطعت عن وظيفتها التوثيقية والوصفية وأصبحت تؤدي وظيفة جمالية ورمزية بالتخيل التاريخي لا يحيل على حقائق الماضي ولا يقررها ولا يروج لها"(عبدالله، 2011، صفحة 40), إنه تدوين للتاريخ بطريقة سردية يتداخل فيها الواقع والمتخيل، كما أن الاعتماد على المادة التاريخية هو مزج يفضي إلى البعد عن الحشو والتوثيق للأحداث والوقائع التاريخية مما يضفي عليها بعدا رمزيا يبث في المتلقي الرغبة والتشويق. وقد يبرز هذا التخييل في حديث الراوي عن اكتشاف منطقة أثرية وهذا ما جاء على لسان دونالد هاردي: "نحن الآن على وشك اكتشاف أعماق هذه الأرض حيث تختبئ مدينة يصل عمرها إلى ستة آلاف سنة تقريبا. هنا من المتوقع أن يكون القصر عظيما. ولعله من بقايا مدينة عظيمة يحتمل أنها تحتوي على مدرجات وحمامات معدنية مادامت في المنطقة منابع طبيعية. أعتقد أن بركانا حدث في المنطقة خلال تلك الفترة، مما خلف حمما وغازات سامة قاتلة"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 66). أشارالكاتب من خلال هذه الإحالة التاريخية العميقة إلى الوجود الإنساني بحضاراته الغابرة وتصوراته الفكرية حول التاريخ الحقيقي لهذه الأمم.

لقد أضحى المكان ركيزة أساسية في المتون الروائية، إذ إنه "يضمن التماسك البنيوي للنص الروائي فمن خلال المكان وحركته يمكن إدراك الزمن وفقا للارتباط الجدلي بينهما فكل منهما يعترض الآخر ويتحدد به "(عبيد، 2011، صفحة 36)، ومنه صار ينظر للمكان على أنه عنصر شكلي وتشكيلي في بناء النص الروائي، بحيث تُستخدم المواقع التاريخية كخلفيات للأحداث. هذه الأماكن تحمل في طياتها ذكريات ومعانٍ عميقة تعكس تأثير التاريخ على المكان،وتساهم في تشكيل تفاعل بين المتخيل التاريخي

والمكان الذي يرمز للهوية، حيث تعكس المواقع الجغرافية الخصوصيات الثقافية وتستخدم لتقديم نقد اجتماعي وسياسي للواقع الراهن.

6.النهاية المفتوحة وتجاوز النموذج السردي:

عمل الروائيون المعاصرون على تخطي الأشكال والقوالب السردية القديمة، حيث أصبحتالحبكة عندهم مفككة مجزئة تساير البنية السردية كون "النص المفتوح هو النص الذي يسعى مؤلفه إلى تمثيل دور القارئ أثناء عملية بناء النص، وهو نص يبيح التأويل والتفسير ضمن حدود نصية معينة ومفروضة "(إمبرتو، 1996، صفحة 181).كما يعدّ شكلاً من أشكال الكتابة الجديدة وأثراً من ثقافة ما بعد الحداثة،إضافة إلى أن الروائي لم يعد يهتم بغزارة المصطلحات والمفردات وإنما يكتب بإحساس قوي يجعله على تواصل خاص مع القارئ بأسلوب مميز لإنتاج نص فني مؤثر يرافق هذا القارئ فيشعر به ويعيد إنتاجه باعتباره جزء منه. يقول السارد:

"انتهينا من الاستجواب، والآن هل هذا كل شيء؟

زم الضابط شفتيه وضيق عينيه.

-بل هي البداية فقط.

-تفضل."(ولدعبدالله، 2020، صفحة 326).

لا يعطي الراوي هنا نهاية واضحة وحاسمة، بل يتيح للقارئ مهمة استكمال السرد من خلال التأمل والتخييل باعتباره مشاركا فعالا في عملية الإبداع والبحث عن الحقيقة اعتمادا علىتصرفات الشخصيات التي غالبا ما تكون متعددة الأوجه، متناقضة الأفعال، وهذا ما يجعل النص يحمل الكثير من التأويلات،وفي مشهد آخر يقول السارد:

"إنها قصة رجل عاش في المغارة, قال وحيد حمراس مبتسما للرجلين, سأخبركم بها.

وعندئذ بدأ وحيد يتكلم"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 326).

توسعهذه النهاية المثيرة غير المتوقعة من آفاق القارئ وتفتح مساحة أوسع للتأويل والتفكيك والتحويل بحثا عن الحقيقة،فهي تلعب دورا بارزا في ترك انطباع دائم ومثير للدهشة في ذهن القارئ بحيث تعود به إلى نقطة البداية.

7.خرق المحظور الديني:

يمثل خرق المحظور الديني أحد عناصر الثالوث المحرم،فمجرد التطرق له هو كسر للقواعد، النظم، والقيم الأخلاقية والسلوكية في كثير من المجتمعات، غير أن التيار الحداثي أسهم كثيرا في كسر هذه الطابوهات من خلال الدعوة إلى التمرد وتقويض منظومة القيم والأخلاق، وهذا ما ميز الكتابة الروائية المعاصرة التي جعلت من الجنس تيمة وبؤرة مركزية يعمل الكتاب من خلالها على نقل تصوراتهم حول هذا الموضوع. كما أنها تراهن بشكل كبير على تخصيص مساحة كبيرة له وجعله تيمة مميزة في متونها،وهذا ما يتجلى في الكثير من المقاطع السرديةلرواية "عين حمورابي"، من بينها وصف الراويلميول شخصيتي "ليليا" و "هلين بلانك" للشبق الجنسي في قوله:" أنتشبقيةوساديةوأنانية،لديكرغبةفيامتلاككلمايحيط بك"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 57).في هذا المقطع تظهر المبالغة في الوصف بفرط الشهوة الجنسية وحب الامتلاك، وتحول الجنس إلى هوس يفوق الرغبة والإعجاب.

تخطت الرواية المعاصرة المبادئ والقيم التي جاءت بها الأديان السماوية والأعراف، إذ "تناولت المسألة الجنسية بجرأة انتهكت من خلالها حرمة الموروث الحكائي العربي في مقاربة الجنس وتجاوزت التلميح إلى تصريح العصر"(ناظميان، 2018، صفحة 26).وذلك من خلال توظيف المحظور الجنسي بألفاظ وصفات صريحة لا تحتمل التأويل.كما يعد خرق المحظور الديني من القضايا المثيرة للجدل كونه موضوع معقد وحساس إذ يعكس التوتر بين الدين، الثقافة، التقاليد والحداثة. كما يبرز الرغبة الجامحة في إعادة تقييم العادات والتقاليد ويوظف كوسيلة لانتقادها التي قد تكون قمعية، مما يفسح المجال للحوارات حول الحرية الفردية، حقوق المرأة والمعايير الأخلاقية، ويعكسالقيود المفروضة في ظل الأعراف الدينية وكذا الصراعات الداخلية التي تواجه الإنسان في مجتمع يتسم بالتنوع الثقافي، مما يدفع الروائي إلى تمثيل حقيقي

للتجارب الإنسانية بصور تتحدى المحظورات الدينية للتعبير عن الأفكار الجنسية التي تعكس الرغبات المكبوتة.

8.التعدد اللغوي:

تعتبر ظاهرة التعددداللغويفي الخطاب الروائي خاصية وسمت الرواية العربية عامة والرواية الجزائرية خاصة وذلك من خلال اجتهاد الكتاب في توظيف الفصحى والعامية إضافة إلى اللغات الأجنبية، وهذا ما يحرر الرواية من السرد الأحادي ويعمل على تعدد وجهات النظر فيها. ويظهر التعدد في رواية "عين حمورابي" في الكثير من مقاطعها، إذ يعمد الراوي إلى توظيف كل من الفصحى،العامية واللغة الألمانية،والغاية من هذا «التنوع الرفيع الذي يخص بالصيت الاجتماعي ويستخدم لإنتاج أدب معترف به"(كالفي، 2006، صفحة 47). كما أن المزج بين هذه اللغات يضفي عل العمل الروائي مسحة جمالية ويعمل على تقريب قارئه منه أكثر.

1.8اللغة العامية:

تعرف الرواية بأنها جنس منفتح على مختلف اللهجات واللغات مما يساهم في عملية البناء السردي ويسهل عمل الشخصيات. وهذا ما يتجلى في رواية"عين حمورابي" التي عجت بالكثير من الألفاظ والعبارات المحلية وذلك لارتباطها بالواقع المعاش،إذ وظف السارد لغة المحادثة اليومية التي تمتاز بالبساطة لتظفي نوعا من الواقعية وتعكس الخلفيات الاجتماعية للشخصيات بوصف مختلف جوانب حياتهم فتخلق بذلك مزيجا لغويا يثري النص ويكسبه إثارة أكبر ويمكن صاحبه من إيصال أفكاره والتعبير عن رؤيته، وهذا ما نجده في بعض الحواراتالسرديةكقول وحيد حمراس:

"ألقيت التحية على البائع الذي اشتريت منه البضاعة بالأمس.

مَرحَبا حْبِيبنا.

مرحبا.

هِيه سِيدي"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 210).

يجد الروائي هنا نفسهأمام حتمية الالتفات إلى اللهجة العامية لتعميق الصورة، حيث يتوازى القارئ مع الشخصية لكسر روتين الحكي من جهة وإعطاء النص بعده الإقليمي من جهة أخرى. عموما قلت العامية في رواية "عين حمو رابي" رغم ميل عنصر الحوار فيها إلى استعمالها.

ومن بين الحوارات الأخرى التي كانت باللغة العامية ما دار بين وحيد والحمداوي:

"وفجأة انفجر قرشي باكيا. وبدأ يتكلم بسرعة جنونية.

-سامحني، وحَقْ سِيدِي ربي ما نَكْذَب عْلِيكْ، وحَقْ سِيدِي المجْدوب وسِيدِي الحراق غِيرْ نْقُلَكْ الحق.

- تكلم صرخت في وجهه "(ولدعبدالله، 2020، صفحة 304).منح السارد في هذا المشهد الحرية لشخصيات نصه للتحاور فيما بينها بلغة بسيطة بغية إيصال أفكارها وإعطائها بعدها الإقليمي الأمر الذي من شأنه أن يثري النص ويزيد من جماليته, ورغم استعماله للفصحى إلا أن الرواية دنت من العامية في بعض الحوارات، محاولا في ذلك مؤلفها إبراز بنية المجتمع الجزائري ذو الأبعاد الفكرية والثقافية المتعددة والمتقاربة فيما بينها.

2.8اللغة الألمانية:

يشكل توظيف اللغات الأجنبية سمة بارزة تبين التنوع اللغوي والثقافي وتعكس الهوية الثقافية المتنوعة للشخصيات داخل الرواية. كما تسعى لتحريرها من سلطة اللغة الواحدة وتفتح أفقا واسعا لتحاور اللغاتمنأجلبناء فنيمحكم،وهذا مايجعل منالروايةحوارية بامتيازوبينقدرتهاعلىالجمعوالتنسيقوالتفاعل بين عناصرهاومنثمالتلاحمبينالخطابات.وقد جنح ولد عبد اللهإلى التعدد بإدراجه اللغة الألمانية في أكثر من مقطع وذلك من أجل إعطاء الرواية مصداقية وواقعية أكثر من خلال تحديد المستويات الثقافية والاجتماعية لكل شخصية مما يجعل القارئ في حالة تنقل بين هذه المستويات المتعددة فيزيد ذلك من شدة تركيزه في البحث عن الحقيقة داخل النص الروائي.

تضمن النص حوارات وأوصاف باللغة الألمانية تعبر عن هوية الشخصية، ثقافتها أو طبقتها الاجتماعية. ويعد هذا التوظيف عنصرا جماليا يضفي على الرواية طابعا خاصا في التعبير عن معنى أو

إيصال فكرة ما بطريقة مدروسة تبين حكمة ووعي صاحبها، وهذا ما نجده في مواضع كثيرة مثلما جاء على لسان هيلين:

– عليك أن تتعلمي النسيان يا هلين.

–?aberتريدني أن أنسى. ما أقسى قلبك !Unmoglich أنت تتكلم عن شيء كأنك تستطيع التخلص منه بكبسة زرّ, لكن هذا غير ممكنVerstehst ? قال إنه يحبني.(ولدعبدالله، 2020، صفحة 131)

يظهرهذا المقطع سعي الكاتب إلى تأسيس تجربة فريدة تختلف عن النمط الروائي التقليدي وذلك من خلال التعدد اللغوي على مستوى الخطاب، بحيث وظف فيه اللغة الألمانية وألصقهابالشخص المناسب لها لإعطاء نصه أكثر واقعية.

يواصل الكاتب اشتغاله على هذا التعدد في مقاطع عدة حين يقول:

أخبرته, مغتاظا, أنها كانت مرة وحيدة فقط.

Gut gemachtmein Freund–

ثم بدأ يصفق.

Herrlich. جنب نفسك الإصابة بمرض معد ....، لأنهم كثر meienFrind .(ولدعبدالله، 2020، صفحة 194)يدل توظيف الكاتب للغة الألمانية في هذا المقطع على عدم تحرجه من استخدام اللغات الأجنبية من جهة، كما يحيل من جهة أخرى على البعد السلوكي والاجتماعي للفرد الغربي، وهذا يجعل من التعدد اللغوي ركنا أساسيًا في نقل التجارب للتعبير عن الأفكار المعقدة أو أنه نوع من التحدي يتبناه الروائي لخلق نوع من التداخل والتفاعل بين الشخصيات والقارئ. ويتيح له فهمًا أعمق للنصوص، ويشجعه على التفكير النقدي لتعزيز مفهومه للهوية واللغة والثقافة، وبالتالي يكتسب تجربة فكرية أكثر عمقا.

9. كتابة الذات:

تعد الرواية متنفسا يلوذ إليه الروائي للكتابة عن الذات وجعلها موضوعا للتصوير ومحورا للتأمل، فتغدو أهم العناصر في بناء النسيج الفني لنقل التجربة الذاتية التييمتزج فيها السير ذاتي مع التخييلي إذ "أن التخييل الذاتي ينزاح عن الواقع ويعيد تشخيصه بطريقة خيالية ويتمرد عن مواصفات الميثاق السير ذاتي "(الداهي، 2020، صفحة 10).

عمد "ولد عبد الله" إلى نقل تجربته الذاتيةبتصوير حالة المطاردة والتخفي التي يعيشها المثقف الجزائري الذي وجد نفسه بين نار السلطة وجحيم الإرهاب، وانتقام الأهالي وذلك من خلال الكشف عن الذات التي تعاني من اليأس، الإحباط والشرود والتي استعصى عليها التواصل مع الواقع من أجل تأكيد هويتها ووجودها، وهذا ما يتجسد في قول وحيد حمراس : "حياتي لم تعد مهمة، لأني خسرت كل شيء. وها أنا الآن رجل منته. كل ما أملكه إحساس بطاقة مظلمة تجعلني حزينا...لكني أجدني الآن عالقا وسط دوامة لامتناهية من الشكوك إلى درجة أجد فيها الراحة الأبدية أمنية يقدمها الموت"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 11). نلاحظ هنا تغلغل السارد في خبايا هذه النفس وذلكبتصوير همومها وانكساراتها وواقعها المأزوم. كما يعكس هذا المقطع أيضا صورة الذات الإنسانية الممزق الفارة من الوهم للبحث عن الطمأنينة واليقين.

تسمحالكتابة عن الذات بالإفصاح عنالمشاعر،الأفكار والتجارب على لسان الشخصيات في رحلة عميقة تحاكي هذه الأمور. كما ثير الحوار والنقاش القائم بين القارئ وأحداث النص التي تمثل في جزء منها انعكاسا لشخصية الروائي عن طريق رموز وإيحاءات دالة ومعبرة تعالج أفكار الشخصيات، دوافعهم ومشاعرهم بأسلوب مميز، فهو يشعر دوما أن الموت يلاحقه. ومنه تتولد أسئلة متنه الحكائي وفي ربوعه تولد مختلف عناصر السرد.

وفي مشهد آخر تصور نفس الشخصية وضعها قائلة: "أمضيت أوراق إطلاق سراحي. ثم مضيت نحو الباب الخارجي وحيدا. وجدتني وسط الطريق الرئيسية التي تشق فيلاج سيدي ياسر إلى نصفين"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 263). عمد السارد هنا بتصوير واقعي وأسلوب صريح نقل

التجربة الذاتية وذلك بالارتكاز على أحداث حقيقية لبناء عالم الرواية.كما أنه مزج بين السيري والتخيلي في مشاهد أخرى لتقديم مرحلة تاريخية من تاريخ الجزائر بأسلوب فني رائع يتماشى وسياق التجديد في إطار التعبير عن واقع المجتمع.

10. كسر خطية الزمن (السرد المتقطع):

يعد رفض المقولة الزمنية وكسر خطيتها أو ما يعرف بالسرد المتقطع رؤية حداثية تبناها أغلب الروائيين المعاصرين، إذ يعمد فيها الروائي إلى عدم الالتزام بالتتابع المنطقي لوقوع الأحداث معتمدا في ذلك على تقنيات عديدة كالحذف والاسترجاع وغيرهما. هذا الأخير يسلط الضوء على أحداث سابقة تسهم في بناء أحداث لاحقة ليخلق نوعا من التشويق في ربط الأحداث الحاضرة بالسابقة، ويساعد في سد الثغرات الزمنية كما يوفر معلومات إضافية ويكشف عن أبعاد جديدة قد تغير مسار السرد أو تقدم نهاية غير متوقعة، وبذلك يكون له تأثير كبير على سير الأحداث، فهو "كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة"(جينيت، 1997، صفحة 51).

قد يختلف زمن الحكاية عن زمن السرد إذ يقوم السارد بتقديم الحكاية من آخر حدث،وهذا ما نلمسه في قول"دونالد هاردي":"نخب أجدادنا الأوائل على هذه القارة زنخب المستقبل الذي سيجمعنا بهم من جديد، نخب كل من أنار لنا الدرب الطويل من بختنصر إلى شليماهينزيك. "Lass unsfeiern ولنشرب نخب نابونيد وآرثر إيفانس وكل المخلصين في هذا العالم. ذكرني حديثه بأيام الجامعة عنما ألقت إحدى الطالبات – وكانت في نهاية الثلاثينيات – محاضرة حول تاريخ علم الآثار والتقنيات المستعملة في التنقيب بمدينة هامبورغ."(ولدعبدالله، 2020، صفحة 62)نلاحظ هنا بأن الراوي عمد إلى بتر زمن السرد الحاضر وكسر خطيته ليستدعي الزمن الماضي ويقحمه ضمن نسيج النص في خطوة فنية مغايرة لسير زمن الرواية، فتقنية الاسترجاع "مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة"(جيرالدبرنس، 2003، صفحة 25)،وهذا ما يعطي الذاكرة أفقا أوسع لاستعادة الماضي ورصد بعض الاسترجاعات والعودة بالقارئ إلى حقب زمنية مضت.

وفي بعض الأحيان لجأ الراوي إلى حذف كثير من المقاطع, نظرا لكون هذه الأخيرة لا تضيف قيمة للنص أو لا تخدمه أو لتشتيت ذهن القارئ و تلطيف المعنى والسيطرة على الزمن، إضافة لكون عنصر الحذف وسيلة لتضليل القارئ في طريق بحثه عن الحقيقة وتوجيهه نحو الأهداف المحورية، على غرار ما ورد في رحلة وحيد من ألمانيا إلى دوار سيدي المجدوب وتلخيص هذه الأحداث في أسطر معدودة بغية تسريع زمن السرد باعتباره "أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات, واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل"(لحميداني، 1991، صفحة 76).

ليس المقصود بالحذف الإيجاز ولا العبور على ضفاف النص، وإنما هو ضبط لأركانه المتباعدة وإزاحة للترهلات وتأجيل الوصفوالانتقال لحدث أهم.إنه عملية مراغة وإقصاء لجملة من الفضاءات أو المفرداتبطريقة جمالية. يقول "وحيد حمراس" متحدثا عن رحلته من المطار إلى سيدي المجدوب "صعدنا إلى حافلة خاصة بالبعثة، انطلقت بنا في طريقها خارج المدينة. في حدود السادسة صباحا كنا نتجه غربا. وقد كان الجو ضبابيا في الخارج مما جعل الحافلة كأنها تسبح بين الغيوم. امتدت رحلتنا ساعات طويلة. وفي حدود الرابعة مساء تبدى لي شموخ سلسلة من الجبال الممتدة في الأفق الغربي. وبعد ربع ساعة أخرى برزت قمة جبل آمجر العظيم من بين الجبال المتراصة"(ولدعبدالله، 2020، صفحة 33).نلاحظ هنااختزال الكاتب لرحلته الطويلة في أسطر قليلة، وهذا ربما بسبب عدم أهمية الأحداث التي تخللتها.

10. خاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

– انتهجتالروايةالجزائريةالمعاصرةالحداثةبخروجها عن المألوفوانفتاحهاعلىعدةأجناس، واستطاعت في فترة وجيزة الانتقال من مرحلة الأحادية الرؤيوية إلى تعدد المنظورات.كما نوعت في أساليبها التصويرية وتمكنت من خلخلةالنظامالسرديالتقليدي بولوجها عالم الغرائبية وتداخلالأزمنةوتنوعالأماكن.

– تجاوزت رواية "عين حمورابي" البنىالتقليديةللخطابالروائيوذلكبخرقها للمحظور الديني،واعتمادها مبدأالتعدداللغوي بالإضافة إلى تبنيها لموضوع السير ذاتي بطريقة حداثية.

– نوع"ولد عبد الله"من شخصياته كما تركمعظمهايشوبه الغموضوذلكبمزجه بينما هو واقعيومتخيل.

– تظهر رواية "عين حمورابي" وكأنها نص داخل أخر وهذا نتيجةالتوليدالسردي الذي أفضى إلى نهاية غير متوقعة.

– تميز الزمن في هذه الرواية بعدم استقامته، الأمرالذيعقدمنأحداثالرواية وجعلها تتسم بالإيهام،فكلماأحسالقارئأنهقبضعلىالمعنى يقوم الراوي بتغييرمنحىالسردليزعزعما توصلإليهالقارئوهذا لإجبارالقارئعلىالاندماجفيهاوالمشاركةفيبناءأحداثها.

أخيرا أرى أنه أصبح منالضروري التعمق أكثر في عالم النصوص الروائية بالبحث والتقصي في مضامينها للكشف عن التقنيات الحديثة الموظفةضمن نصوصها المعاصرة خاصة في عنصري اللغة والتصوير، كما أدعو إلى الاشتغال أكثر على نص هذه الرواية كونها نصا حداثيا بامتياز خاصة فيما يتعلقبتوظيف تقنيات الكتابة الروائية المعاصرة.

5. قائمة المراجع:

إبراهيم عبدالله. (1990). *المتخيل السردي مقاربة سردية في التناص والرؤى الدلالية*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

إبراهيم عبدالله. (2011). *التخييل التاريخي, السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية*. عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع.

إيكو إمبرتو. (1996). *القارئ في الحكاية*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

بسام قطوس. (2008). *سيمياء العنوان*. الأردن: وزارة الثقافة.

جابر عصفور. (1984). *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي*. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.

جيرار جينيت. (1997). *خطاب الحكاية بحث في المنهج*. مصر: المشروع القومي للترجمة.

جيرالدبرنس. (2003). *المصطلح السردي*. مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

حميد لحميداني. (1991). *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي*. مصر: المركز الثقافي العربي.

خالدة سعيد. (1986). *حركية الإبداع, دراسات في الأدب العربي الحديث*. بيروت: دار الفكر.

رضا ناظميان. (2018). *دراسة المثلية الجنسية في الرواية السعودية*. السعودية: جامعة آزاد الإسلامية.

رفيق رضا صيداوي. (2008). *الرواية العربية بين الواقع والتخييل*. بيروت: دار الفرابي.

سرداد أصلاني. (2011). الرمز والأسطورة والصورة الرمزية في ديوان إيليا ابو ماضي. *مجلة الجمعية العلمية للغة العربية وآدابها*.العدد *38*. ص*2*.

عبد الطيف ولدعبدالله. (2020). *عين حمورابي*. الجزائر: دار ميم للنشر.

لويس جان كالفي. (2006). *علم الاجتماع اللغوي*. الجزائر: دار القصبة للنشر.

محمد الداهي. (2020). التخييل الذاتي هوية المفهوم ومفارقاته. *مجلة آفاق*.

مهدي عبيد. (2011). *جماليات المكان في ثلاثية حامينة*. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

ميمن داود. (2020). الهجرة الأندلسية ودورها في بناء القوة العسكرية للجزائر. *مجلة الدرايات التاريخية العسكرية*.